مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

نقد النص الشعري الجزائري الحديث التجربة النقدية عند محمّد صالح ناصر نموذجا

Criticism of the modern algerian poetic text critical experience - Mohamed Salah Nacer as model –

طرفاية أمال[1] ، يحيى حاج امحمد[2]

1 - جامعة غرداية -الجزائر : tarfaya.amel@univ-ghardaia.dz
2 - جامعة غرداية -الجزائر hadjmahammed.yahia@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2019/09/19 تاريخ القبول: 2020/11/22

ملخص

المحور الأساسي الذي نود تقصيه في هذا المقال الموسوم نقد النص الشعري الجزائري الحديث التجربة النقدية عند محمّد صالح ناصر نموذجا؛ هو تبيان جهود الناقد الجزائري محمّد صالح ناصر في ميزان النقد، وتقديم رؤيته النقدية وإبراز تصوراته وقضاياه لنقد النص الأدبي. حيث اتسمت تجربته النقدية الجزائرية بمسار فكري واضح الذي لا ولاء فيه إلا للموضوعية و العلمية. و التي تنم على ذوقه الأدبي و محاولة إثبات جدارته النقدية في تتبع مسار الشعر الجزائري الحديث إذ يعد الاهتمام بهذه التجربة الشعرية الثرية والمتنوعة موضوعا مهما كونها تشكل منعطفا فاعلا في منظومة النقد الأدبي الجزائري.

الكلمات المفتاحية :

محمّد ناصر، القضايا النقدية، الشعر الجزائري، النص، الرؤية.

المؤلف المرسل: أمال طرفاية tarfaya.amel@univ-ghardaia.dz

Abstract-

The Main Focus That We Would Like To Explore In This Article ;Which Is Marked By Criticism Of The Modern Algerian Poetic Text Critical Experience Of " MOHAMMED SALAH NACER " As A Model , Is To Show The Efforts Of The Algerian Critic " MOHAMMED SALAH NACER" In The Balance Of Criticism , And To Present His Critical View And Highlight His Perceptions And Issues To Criticize The Literary Text , Where His Experience Of Algerian Criticism Was Characterized By A Clear Intellectual Path ; Which Is Loyal Only To Objectivity And Scientific . And That Shows His Literary Taste And Trying To Prove His Critical Merit In Following The Course Of Modern Algerian Poetry ; As Interest In His Rich And Diverse Poetry Experience Is An Important Topic As It Constitutes An Effective Turning Point In The Algerian Literary Criticism System .

Key Words -

Mohammed Salah Nacer, Critical Issues, Algerian Poetry, Text, Vision.

مقدمة

شكل الناقد الجزائري محمّد صالح ناصّر[1] موروثا نقديا زاخرا بألوان الإبداع النقدي الذي ينم على أصالة الفكر وصفاء الذهن، وقوة الإحساس بالحياة، فهو واحد من أولئك النقاد الجزائريين ممن برزوا في ساحة الإبداع النقدي في الجزائر في العصر الحديث.

وقد أثمر إبداعه أعمالا نقدية قيمة في مجال نقد الشعر الجزائري؛ إذ ساهم من خلالها في إثراء المكتبة الجزائرية بعديد المؤلفات.

والناقد محمّد صالح ناصّر هو علم من الأعلام النقدية التي ساهمت بحبرها وقلمها في دفع عجلة النقد الجزائري الحديث إلى الأمام بخطى ثابتة وصحيحة، بعد أن كان النقد الجزائري يتسم بالضعف والجمود و الركود جراء السيطرة الاستعمارية المهيمنة على الجزائر عامة.

وعليه فإن هذا المقال يسعى إلى ولوج العالم النقدي لمحمّد ناصر محاولاً الوقوف على طبيعة الجهود النقدية التي استنطقها الأديب الناقد محمّد ناصّر في نصوصه الابداعية والتي وضع من خلالها تصميمه للنص الشعري الجزائري الحديث.

وفي هذا السياق نجد أنفسنا أمام تساؤل مهم ورئيس:

فيما تمثلت إسهامات محمّد ناصّر النقدية؟ وما القضايا النقدية التي احتكم إليها لمقاربة النص الشعري؟

أولا :قضية الرؤية الإصلاحية للشعر

لقد امتدت كتابات النقاد الجزائريين خلال النصف الثاني من القرن العشرين لتواكب روح العصر الاجتماعي والسياسي والديني آنذاك، حيث شارفت كتابات جزائرية عديدة على تأكيد رؤيتها الفكرية النقدية المحافظة، حيث تبنى الكثير من النقاد الجزائريين في العصر الحديث ما يعرف بالاتجاه

[1] – أديب و ناقد جزائري من مواليد القرارة غرداية بمزاب (1938)، ينظر السيرة الذاتية المفصلة في موقع جمعية التراث.

https://www.tourath.org/ar/content/view/1746 /45 / السيرة الذاتية للدكتور محمد صالح ناصر.

الإصلاحي على رأسهم الكاتب الناقد محمد صالح ناصّر هذا الأخير الذي استنطق الاتجاه الإصلاحي في كثير من مؤلفاته النقدية وتحدث عن حضور الاتجاه الإصلاحي في الخطاب الشعري الجزائري الحديث.

فالاتجاه الإصلاحي في الشعر هو ذلك الذي ارتبط بالحركة الوطنية الإصلاحية في الجزائر، حيث حمل الشعراء والنقاد رسالة نبيلة هادفة والتزموا راية الإصلاح ونشر القيم والوعي والتحرر من بقايا الثقافة الاستعمارية المهيمنة ومحاولة إجلاء الهوية الجزائرية.

1 -حالة الشعر قبل ظهور الاتجاه الإصلاحي في الجزائر

يعتبر الاتجاه الإصلاحي في الشعر من أبرز التيارات الفكرية التي عرفتها الساحة الأدبية في الجزائر حيث ترك لنا بصمات واضحة وجلية في حياتنا الثقافية والأدبية في تلك الفترة لذا حاول الناقد "محمّد ناصر" دراسة الإبداعات الشعرية المتمخضة عن هذا الاتجاه وقد تمكن من خلالها من تحديد جملة من المفاهيم للاتجاه الإصلاحي وإبراز عوامل ظهوره وخصائصه وأهم سماته التي تميزه عن غيره معتبراً إياه فكراً متطوراً ونفساً جديداً أيقظ الشعب الجزائري من سباته وجعل منه طريقا للعودة والنجاة.

وقد ارتبط الجنس الأدبي الشعري بالحركة الإصلاحية فأصبح الشعر وسيلة ناجعة لخدمة المشروع الإصلاحي في الجزائر ذلك لأن الشعر كان الرائج والرائد لفترات طويلة فكان لسان حال العرب يؤثر في الناس ويثير فيهم مشاعر ويوقظ فيهم إحساسا ربما قد تلاشى بسبب ويلات المستعمر ومحاولته القضاء على الشخصية الثقافية الجزائرية ولكن قبل ولوج عالم الاتجاه الإصلاحي في الشعر لابد أن ندرك كيف كانت حالة الشعر قبل أن يظهر الاتجاه الإصلاحي في الجزائر؟

يرى "الناقد" أن الشعر الجزائري قبل ظهور الاتجاه الإصلاحي قد عان الغياب والضعف والانحطاط والانحلال على المستوى الفني والشكلي وردّ هذا الضعف إلى أن الثقافة العربية في الجزائر كانت تعاني ويلات المستعمر الغاشم الذي حاول القضاء على معالم الهوية الجزائرية ثقافيا وفكريا، وتجريد الشعب الجزائري من هويته العربية الإسلامية وإبداله بثقافة غربية فرنسية محضة (ناصر/الشعر الجزائري/16/1985).

وقد كان الشعر في هذه الفترة يدور في فلك العلوم القرآنية الشرعية حيث كان في الأغلب يدور حول« **مدح المشايخ والكبراء، تغني بمآثر الأولياء الصالحين، والتغزل في الذات الإلهية، والتوسل بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم...** »(نفسه/19).

2 -**عوامل ظهور الاتجاه الإصلاحي في الجزائر:**

- **الحرب العالمية الأولى:** إن أحداث الحرب العالمية الأولى ساعدت على خروج الجزائريين من غفلتهم ونزعت عنهم اللثام الذي أُلبسوه مطولا حيث يرى "محمد ناصر" أن الحرب العالمية الأولى كان لها« **الأثر البالغ والعميق في التحول الذي مس الجزائر اقتصاديا، وسياسيا، وثقافيا، واجتماعيا، فالحرب العالمية الأولى كانت قد تمخضت عنها نهضة فكرية أدبية واجتماعية ووطنية...**» (نفسه/27).

- **النهضة المصرية:** يرى محمّد ناصر أن الأدباء الجزائريين خريجي المعاهد العربية بتونس والمشرق قد تأثروا بالنهضة العربية المصرية، إذ شكلت أحد عوامل بروز الحركة الإصلاحية في الجزائر، وهذا ما وضحه محمد السعيد الزاهري حين قال: « **فللأستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده المصري أنصار ومريدون، وفكرة الإصلاح الإسلامي التي كان يدعو إليها أصبحت اليوم في الجزائر مذهباً اجتماعياً يعتنقه الكثرة الكثيفة من الناس**» (نفسه/27).

- **الصحافة التونسية:** لتونس الدور الريادي في بعث الاتجاه الإصلاحي في الجزائر ذلك أن معظم الأدباء الجزائريين قد كانوا من خريجي جامع الزيتونة ويرى الناقد محمد الناصر أن ما« **نشر في كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر قد نشرته الصحافة التونسية أيام الطلب. حيث اطلع الأدباء الجزائريين من خلال الصحافة التونسية على الآثار الأدبية الجديدة الوافدة من المشرق العربي من أمثال شعر شوقي وحافظ والرصافي**» (نفسه/28)، وبالتالي فقد ساهمت هذه العوامل في نشأة وتطور عدة أغراض شعرية مثل الشعر الداعي للإصلاح وإذكاء الروح الإصلاحية على قارعة طريق الأدب والنقد في الجزائر.

3 -خصائص الاتجاه الإصلاحي:

لقد عمل هذا الاتجاه في نظر الناقد "محمّد ناصر" على ترسيخ معاني التحدي والدفع بالذات الجزائرية إلى الأمام وقد أورد لنا الناقد جملة من الخصائص الأساسية للاتجاه الإصلاحي تمثلت في نقاط المهمة وهي:

1 -العمل على إصلاح الوضع الاجتماعي والفكري في الجزائر عن الطريق الإسلامي الحنيف.

2 -الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ومناشدة السلوك الأخلاقي السوي.

3 -مزجه بين الماضي الزمن الجميل وبين الحاضر. (نفسه/60).

ويخلص ناقدنا من خلال هذه الخصائص السابقة إلى اتخاذ موقف ايجابي من هذا الاتجاه الفكري الإصلاحي والذي يتمثل في اعتماده على الدين الإسلامي والتعاليم القرآنية التي أضافت الكثير للشعر المناسب لروح العصر في تلك الفترة.

وقد رأى الناقد أن الشعر الإصلاحي قد حصر الشعر في أغراض وموضوعات معينة، حيث كانت معظم مواضيع الشعر الإصلاحي تدور حول المدح الديني الحماسة، وقد أدرك الناقد "محمّد ناصر" بحكم دراسته لطبيعة الشعر الإصلاحي أن هذا الإنكار لأغراض مثل المديح لم يكن لدافع فني جمالي مما جعل الشاعر يفشل في تكوين الرؤية الجمالية وبهذا فالناقد يرى بأن «**النظرة الإصلاحية للشعر تطرفت بعض الشيء حين قصرت نظرتها على الجانب الاجتماعي والديني، دون العناية بالشاعر وأحاسيسه باعتباره إنسان ودون النظر إلى العمل الشعري من جانبه الجمالي**» (نفسه/76)، وهذا ما أشار إليه الناقد الجزائري "عبد الله الركيبي" حين أكد أن الشعراء الإصلاحيين«**يتفقون في سمة عامة أنهم لم يعبروا عن ذواتهم بقدر ما عبروا عن موضوعات متشابهة بل متفقة لحد كبير**» (الركيبي/الشعر الديني/576/1981) وبناء على رؤيته السابقة لطبيعة الشعر الإصلاحي ووظيفته، يؤكد "محمد ناصر" أن موقف الشاعر الإصلاحي ينطلق من نظرة جماعية لرسالة الشعر التي تعبر عن روح الجماعة أي أن دور الشعر ينحصر في الاهتمامات الأخلاقية والاجتماعية والدينية دون التركيز على الجانب الذاتي الفردي.

ومن هذا المنطلق، فالناقد يسعى إلى توضيح فشل الشاعر الإصلاحي في إحداث توازن وتوفيق بين الجانب المضمون والجانب الفني، فالشاعر العبقري في منظوره، هو الذي يجمع بين المحتوى البعيد والشكل المونق؛ وهذا ما لم يحققه الشاعر الإصلاحي الذي أخفى وغيب الذات المبدعة بأحاسيسها ومشاعرها الفياضة، فهو لم يعبر عن شعور خاص بل عبر باسم روح الجماعة لإصلاح أوضاع المجتمع وهذا ما أثر سلبا على شكل القصيدة التي لم تخرج عن القوالب الشكلية للقصيدة الكلاسيكية.

وإذا كنا نتفق مع الناقد في رؤيته النقدية هذه والمتمثلة في عدم التعبير عن الذات (أي تمجيد الفرد)، إلا أننا نختلف معه في حكمه على مجاراة القصيدة الإصلاحية للنمط التقليدي فهذا شيء منطقي، ذلك لأن هذا الاتجاه الإصلاحي تيار فكري إصلاحي ينطلق من خلفيات ومرجعيات فكرية كلاسيكية محضة، فالهدف منه إصلاح أوضاع الجماعة والرجوع إلى التراث الذي يراه الشاعر الإصلاحي قدوة يحتذي به، وكلنا نعلم أن الشاعر ابن بيئته وعصره والشاعر الإصلاحي فتح عينيه على أوضاع قاسية مزرية وعلى جمعية العلماء المسلمين التي تنادي بالإصلاح فلم يجد طريقا آخر إلا إتباع الموروث التقليدي ومنه إتباع الشكل القديم، ودليل ذلك أن أغلب الشعراء الرومانسيين كانوا إصلاحيين في فترة ما وهذا ما نجده عند الشاعر رمضان حمود الذي كتب قصائد متّبعا فيها النمط الإصلاحي، ولكن فيما بعد ذهب لمجاراة الشكل الرومانسي الجديد.

ثانيا : قضية النبرة الخطابية:

يرى الناقد "محمّد ناصّر" أن النبرة الخطابية قد برزت بشكل لافت عند شعراء الحركة الإصلاحية حيث أن معظم قصائد الشعر الإصلاحي تنهج نهج الخطب التي تثير الحماسة في النفوس.

والنزعة الخطابية هي إحدى خصائص الشعر الإصلاحي وقد التمس "محمّد ناصر" هذه الخاصية عند العديد من الشعراء الإصلاحيين من بينهم "رمضان حمود" الذي يرى الناقد أن أغلب قصائده جاءت على النحو الخطابي قائلا:«**وآية ذلك أن الجملة الشعرية عنده صبت كلها أو جلها في صيغة**

الاستفهام أو الأمر أو النهي أو الطلب أو النداء وكلها قوالب وصيغ خطابية» (محمد ناصر/رمضان حمود/43/1985).

وقد استشهد لنا الناقد محمّد ناصّر ببعض المقطوعات الشعرية للشاعر رمضان حمود والتي تطغى عليها النزعة الخطابية فنجد التكرار في قصيدته الموسومة بـ "دمعة على الأمة" التي رددّ فيها كلمة بكيت (اثنتي عشرة مرة) وهي تظهر في كل بيت شعري يقول فيها :

« بَكيتُ ومِثلي لا يَحقّ لهَ البُكاَ عَلى أُمَةٍ مَخْلُوقَةٍ لِلنَوازِلِ
بَكَيتُ عَليهَا رَحْمَةٍ وصَبَابةٍ وإنّي عَلَى ذَاكَ البُكَا غَيرُ نَادِمِ
بَكَيْتُ عَلى قَوْمِي لِضَعفِ نُفُوسِهِمْ عَلى حَملِ أَثْقَالِ العُلَى والفَضَائِلْ
بَكَيتُ عَلَيهُم، والحَشَا مُتَقَطِعْ بُكَائِي على طِفْلٍ ضَعِيفْ العَزَائِم»(نفسه/65)

كما أورد الناقد محمّد ناصر جملة من القصائد التي استخدم فيها الشاعر رمضان حمود تقنية التكرار والجدول الآتي يوضح بعضا منها:

القصيدة	تكرار اللفظة أو العبارة	عدد التكرارات
شعبي الكئيب	"بات"	ثلاث مرّات
في السجن	"السجن"	ثلاث مرّات
نحو الأمام	"انبذوا"	مرّتين
جمال الكون و بدائعه	"انظر" "لو لم يكن في الكون ربّ واحد"	أربع مرات مرّتين

الجدول رقم 01

ثالثا : رسالة الشاعر عند محمّد ناصر

إن الإنسان منذ أن خلقه الله تعالى في هذه الحياة فضله عن باقي المخلوقات وكرمه بالعقل الذي يفرق من خلاله بين الصواب والخطأ، فعن طريق العقل يفكر الإنسان ويعمل ويحمل رسالة يبلغها في هذه الحياة.

كذلك الشاعر في نصه الشعري له رسالة إنسانية يوجهها والتي يهدف من خلالها التأثير بالمتلقي. ومحمّد ناصر من أولئك الشعراء النقاد الذين أولوا أهمية كبيرة لوظيفة الشعر والشعراء ودور هذا الأخير في محيطه الاجتماعي والثقافي والسياسي والديني.

وفي هذا يرى الناقد أن الأدباء والنقاد الذين ظهروا في الساحة الأدبية الجزائرية بعد النهضة حملوا دعوة ورسالة توجيه إلى الشعراء بأن يكون مضمون رسالتهم الشعرية التعبير عن واقع المجتمع الجزائري الذي يعاني حالة اجتماعية وسياسية مزرية من فقر وجهل وأن يجعلوا من الشعر سبيلا لنهضة البلاد ورقيها. (محمد ناصر/الشعر الجزائري/68/1985)

كما يلتقي ناقدنا في هذه النقطة مع الناقد الشاعر رمضان حمود الذي أقر لنا بأن وظيفة الشاعر وظيفة اجتماعية يسعى من خلالها لرقي البلاد ونهضتها قائلا: «**الشعراء روح الشعوب فإذا نصحوا لها سارت وتقدّمت، وإذا خانوها فالسّقوط والاضمحلال حظها**» (نفسه/33)، فرسالة الشاعر في نظر الناقد محمد ناصر هي نقل الواقع وترجمته بطريقة إبداعية وبقالب من الصور الفنية الجميلة فهو بمثابة الحامل لرسالة شريفة يجب أن يبلغها في أكمل صورة وأبلغ وجه.

فالشاعر الفحل من يرسم بكلمات شعره إحساسا يوقظ به قلوب شعبه، ويُحي فيهم مشاعرا قد أغفلها زمن الاستعمار والقتل والضياع، ويلتزم بأداء الواجب المنوط له على أكمل وجه، حاملا راية الدفاع عن مبادئ وطنه التي يحاول الأعداء طمس معالمها وقتل روح الأصالة فيها.

وهذا الرأي للناقد يتفق معه فيه الناقد ميخائيل نعيمة الذي يرى أن الشاعر استندت له مهمة تبليغ نصه الإبداعي فيقول: «**الشاعر نبيّ وفيلسوف ومصوّر وموسيقي وكاهن؛ نبيّ لأنه يرى بعينه الروحية ما لا يراه كل البشر، ومصور لأنه يقدر أن يسكب ما يراه ويسمعه في قوالب جميلة من صور الكلام، وموسيقي لأنه يسمع أصواتا متوازية حيث لا نسمع نحن سوى هدير وجعجعة**» (نعيمة/الغربال/76/1991).

لقد أدرك الناقد بحكم دراسته لوظيفة الشاعر والشعر أن الشاعر يحمل رسالة فعالة تؤثر في النشاط الجمعي وبناء مجتمع مفيد، بحيث يكون النص

الشعري يعالج المشاكل الإنسانية التي تؤرق المواطن الجزائري مع إيقاظ الهمم وإثارة النفس، وبهذا فالشاعر الجزائري يثير النشوة ويحرك المجتمع لينتج شعرا خالدا قادرا على بناء مجتمع متماسك.

ولأن محمّد ناصر من هؤلاء الذين عرفوا في العصر الحديث على أنهم نقاد وشعراء في الآن نفسه، فإنّ هذا التنديد الذي ينادي به حول وظيفة الشاعر فقد وظفه في كتاباته الشعرية بأسلوب يتلاءم مع طبيعة عصره، وخير دليل على هذا ديوانه الجديد "بعد الغسق يأتي الفلق" الذي وقف فيه الشاعر محمد ناصر واصفا الواقع المرير الذي يشهده العالم العربي والإسلامي من حروب دامية وقتلى وتشرد كما وقف موقف الواصف لمشاعر الرضى والفرح والاستشراف بربيع عربي جميل، لذلك فالناقد الشاعر محمد ناصر قد نقد ذلك الشاعر الذي لا يعبر عن هموم مجتمعه وجعل من وظيفة الشاعر وظيفة إنسانية خالصة تنقل مآسي وآلام المجتمع العربي.

رابعا : الالتزام في الشعر

إن الالتزام في الجنس الشعري نعني به أن الشاعر ملتزم بأن يعالج في أدبه قضايا واقعه، بحيث يقف موقف الواصف لواقع مجتمعه ويجعل الشاعر من نفسه مسؤولا عن رعيته (مجتمعه) فيساهم في التعبير عما يحدث في حياتهم محاولا إيجاد سُبلٍ لحلها.

ويتضح لنا أن الالتزام لدى محمد ناصر يرتبط أشد الارتباط بالمحتوى وبالقيم الإسلامية لا بالشكل، وفي هذا يقول:«**فلا الالتزام بعمود الشعر دليل على الأصالة بالمفهوم الإسلامي الواعي، كما أن الكتابة بالشكل الحديث وأقصد شعر التفعيلة المحافظ على الموسيقى والإيقاع الشعري مع القوافي المتراوحة يدين صاحبه ويخرجه من الدين الإسلامي، إذ نجد كثيرا من الشعراء الدعاة الملتزمين إسلاميا اليوم يكتبون بهذه الطريقة التي لا تعدو مجرد تجديد في الشكل لا أكثر ولا أقل، ولو كان الشكل العمودي للقصيدة مقياسا نعرف به الشاعر المسلم من غيره إذاً لأصبح أبو نواس ومسلم بن الوليد شعراء ملتزمين، ولبات يوسف العظم، وأحمد مطر، وعبد العزيز المقالح وغيرهم شعراء غير ملتزمين**»(محمد ناصر/حداثة أم ردّة/14/1993).

نلاحظ من خلال هذا القول أن الناقد يسعى لتوضيح نوعين من الالتزام والذي يتمثل في الشكل والمضمون، ويقر بأن الالتزام في المضمون أعمق من الشكل، ذلك أن الالتزام في المضمون مرتبط بالدين الإسلامي الحنيف، كما يرى أن الالتزام في الشكل هو واحد من دروب المظاهر الخادعة المزيفة التي لا تعكس الذات الباطنية المسلمة في كل الحالات وضرب لنا مثالا عن ذلك بأبي نواس ومسلم بن وليد، وكأنه شبه الالتزام في شكل القصيدة من قوافي وبحور وغيرها بشكل الإنسان المزيف الذي يدعى التدين برياء في الصلاة واللحية وغيرها من المظاهر المزيفة التي يهدف من خلالها خدعة الناس وكسب ثقتهم واحترامهم، في حين أن الالتزام الحقيقي يكون بأخلاقياته وسلوكه وصفاته الجميلة الخيرة.

فالناقد يسعى إلى توضيح أن الالتزام في الشعر يكون التزاما في محتواه بمعنى التزاما إسلاميا بالقيم الإنسانية التي تهدف إلى تحقيق الغاية الصحيحة المرجوة.

حقيقة هذا الطرح الذي قدمه الناقد يظهر وكأن الناقد قد ألغى فكرة الالتزام الشكلي في الأدب، ولكن هذا لم يحدث لأنه في مواضع أخرى أبرز دور الشكل في توصيل رسالة الشاعر لمضمون رسالته، ذلك أن الالتزام بالقيم الجمالية الفنية التي تثير عواطف الشاعر والمتلقي في الآن نفسه تمكّن الأديب من الإقناع وجذب القارئ، وبهذا فالالتزام في الأدب يجب أن يهتم بأدبية النص وجمالياته الفنية، فتوصيل الأديب لذلك المضمون الفكري الإسلامي لا يكون عن طريق اللغة المباشرة التقريرية بل بتشكيل كلمات مصاغة رنانة جميلة تثير القارئ، وبهذا تتحقق الفاعلية المرجوة بين طرفي الإبداع الشاعر والمتلقي، وفي هذا يوضح محمد ناصر قائلا:«**إنّ حرصنا على المضمون الإسلامي ينبغي ألا يكون على حساب الجانب الفني في النص إذ لا يشفع المضمون الإسلامي في نص يفتقد إلى الموهبة الأدبية الحق**»(محمد ناصر/خصائص الأدب الإسلامي/30/1993).

وبهذا فالناقد يسعى إلى تحقيق التوازن بين الجانب المضموني والجانب الفني في الأدب الإسلامي فلا تكون واحدة منهم طاغية على الأخرى، ذلك لأن «**أولى سمات الصدق الفني في العمل الأدبي التوازن الحقيقي بين الذات المبدعة**

حضارة، ودينا، ولغة، وكل اختلال في هذه المقومات الأساسية تصيب الذات بالاختلال، وبالتالي النص بالانفصام والتبعية أو الزيف والنفاق» .(محمد ناصر/حداثة أم ردّة/31/1993).

فهو يرى أن الأدب الناجح الذي «**يتسم بالعمق، والأصالة، والصدق؛ لن يكون كذلك إلا عندما يتضح فيه التوازن بين الشكل والمضمون**» (نفسه/27)، ويتفق معه في هذا الطرح نجيب الكيلاني الذي يرى أن شروط تحقيق البنية المتكاملة للنص الإبداعي لن يكون إلا من خلال «**التوازن بين الشكل والمضمون، فليس المضمون وحده هو الذي يقدّم الفنّ، وإنّما الفن هو مضمون وشكل معا، والمضمون وحده لا يكفي**» (نجيب الكيلاني/رحلتي/14/1985).

إن الدعوة إلى إحداث التوازن بين الشكل الفني والمضمون في الأدب يهدف من خلالها محمد ناصر إلى الربط والجمع بين عناصر العمل الأدبي ومنه تحقيق البنية المتكاملة للإبداع الأدبي.

إن ارتباط الشاعر الملتزم بالقيم الإسلامية لدى الناقد لم يكن كلاما عشوائيا بل قاله مستندا على أدلة شرعية ثابتة حيث استشهد بالآية الكريمة التي يقول فيها الله عز وجل **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** (227). (الشعراء/224 -227).

فقد أراد الناقد توضيح أن الشعراء الذين لا يتبعون التعاليم الإسلامية ولا يدعون في أدبهم إلى نشر الخير والسلام فهم شعراء معادين للإسلام يتبعون الغواية والضلال. بهذا يرى الناقد أن الأديب يجب أن يكون مقتنعا بهذا الالتزام الذي لا يتحول مهما طالت عليه السنون فهو ينادي بالالتزام الكامل قائلا: « **فإذا آمن الأديب بأن التزامه نابع عن الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أصبح هذا الشعور ذاتيا فيه وبات له مراقبا ومصاحبا، وبهذا الإحساس القوي في مصدر الالتزام بأنه ثابت لا يتغير، ودائم لا يتبدل، يصبح أدبه انعكاسا لإيمانه وعقيدته**» (نجيب الكيلاني/رحلتي/17/1985).

خاتمة

إن الشعر عند محمّد صالح ناصر تيار كهربائي مرتكز في الروح و النفس ، فهو النطق بالحقيقة العميقة يلج الشاعر من خلالها القلب و الوجدان و الإحساس الفياض النابع من الحقيقة فالناقد محمد صالح ناصر انتقد الشعر بفكر عميق ثاقب و عقل صائب نابع من ذوق جميل سليم.

- أوضح الناقد ارتباط القصيدة التقليدية الجزائرية بالحركة الإصلاحية و الدين الإسلامي و الذي حقق نجاحا في الجانب المضمون متحدثا عن عدم توفيقه في الجانب الفني.
- بيّن الناقد أن القصيدة التقليدية ارتكزت على الجانب الخطابي المباشر لأنها تهدف إلى مخاطبة النفس و ايقاظ إحساس المتلقي.
- إن الشعر عند محمّد ناصر هو لسان المجتمع لذلك جعل من رسالة الشاعر رسالة سامية نبيلة تهدف إلى التعبير عن صورة العصر و قضاياه ، فلابد لكل شاعر أن يلامس الظروف السياسية و الاجتماعية و الثقافية و غيرها للعصر الذي يعيش فيه و من هنا فالشعر لدى محمّد ناصر يخضع لمقولة لكل "مقام مقال".
- فسّر الناقد الالتزام في المضمون الذي يلزم الشاعر بأن يعبر عن المظاهر الاجتماعية التي يعايشها الشاعر مازجا إياه بالقيم الإسلامية. متجنّبا الحديث عن الالتزام في الشكل الذي كثيرا ما نجد الناقد لا يعطيه حقه في نقده لأن الأولوية في الشعر في نظره هو محتوى القصيدة.

إن اشتغال محمّد صالح ناصر بالموضوعات الشمولية المرتبطة بالنص الشعري الجزائري الحديث، ورصد قضاياه وموضوعاته وتحليلها تشكل إحدى بواكير عالمه النقدي الذي استطاع تشكيله عن طريق جملة من المعارف الحسية والفكرية والأدبية والإسلامية الواسعة.

حيث استطاع الناقد محمّد ناصر تكوين شخصية نقدية معروفة بلغتها الأدبية الخاصة وطريقتها المميزة في النقد ممزوجة بالروح الإسلامية.

والقضايا النقدية التي ولجها محمّد ناصر تدل على سعة اطلاعه وثقافته الواسعة حيث استطاع أن يجمع بين الثلاثي النقدي (النص، والمجتمع، والتاريخ).

قائمة المراجع :

1 - عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دط)،(1981).

2 - محمّد صالح ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، ط1، (1985).

3 - محمّد ناصر، رمضان حمود حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، (1985).

4 - ناصر محمّد صالح، حداثة أم ردّة، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط1، (1993).

5 - محمّد ناصر، خصائص الأدب الإسلامي، مكتبة الضّامري، السّيب، سلطنة عمان، ط1، (1993) .

6 - ميخائيل نعيمة، الغربال، بيروت، لبنان،(دط)، (1991).

7 - نجيب الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.

المواقع الالكترونية :

https://www tourath.org/ar/content/view/1746 /45/ السيرة الذاتية للدكتور محمد صالح ناصر.